بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة منقحة بعنوان:

(...ولكنْ يَسَعُهم منكم بَسْطُ الوجه وحُسنُ الخلُق) [1]

حُسْنُ الخُلُق
سبيل النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة

بقلم المفكر الإسلامى

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: 10 رجب 1446هـ / 10 يناير 2025م

الحمدُ لله ربِّ العالمين، المتَّصف بالعزَّة والعظمةِ والجلال، الحيِّ القيوم الأزليِّ الدائم بغَير زَوال، المتفضِّلِ على عباده بجلائل النِّعم، الكبيرِ المتَعَال نحمدُه تباركَ وتعالى بالغدوِّ والآصال، ونعوذُ بنور وجهِه الكريم من ظلمات الشكِّ والشركِ والضَّلال، ونسأله السلامةَ على كلِّ حال.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير

وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا (ﷺ) عبدُه ورسولُه، وصفيُّه من خَلقه وخليلُه، المتمِّم لمكارم الأخلاق، الذي جاهدَ في سبيل الله، مؤيَّدًا منه ومنصورًا، ومَعصومًا من الإخفاق، ومُنيرًا للآفاق، العظيمُ في تواضعِه، الوفيُّ في تعاهدِه، الكريمُ في تعاقُده تركَ فينا ما إن تمسَّكنا به لن نضلَّ بعدَه أبدًا؛ (كتاب الله وسنته..)، وعلَّمنا أنَّ ما عندنا ينفَد وما عندَ الله باق فاللهمَّ صلِّ وسلِّم وزدْ وبارك على سيدنا محمدٍ النورِ المبين، الكريمِ بأصله، المطهَّرِ في نَسله، المصُونِ بروضه، وسلِّم عليه ما تعاقبَ العشيُّ والإشراق..

إذا ما شئتَ في الدّارين تَسعَدْ *** فأكثِرْ مِن الصلاةِ على محمَّدْ
وإن شئتَ القبولَ في الدَّعوات *** فتَختِم بالصـلاةِ على محمَّدْ
فلا صومٌ يَصـحُّ ولا صــلاةٌ *** لمَن تركَ الصلاةَ على محمَّدْ
وإنْ كانت ذُنوبُك ليس تُحصَى *** تُكفَّر بالصـلاةِ على محمَّدْ
فما تَتضاعَفُ الحسنــاتُ إلّا *** بتَكرار الصـلاةِ على محمَّدْ
وعندَ المــــوتِ ترى أمورًا *** تَسُرُّكَ بالصـلاةِ على محمَّدْ

(1) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها..والله ولي التوفيق.

وعندَ القــبر تَحْظى بالأمانِ *** وتُرحَم بالصــلاةِ على محمَّدْ
ولا تَخْشى من المَلَكين رعبًا *** إذا سألاكَ قلْ لهُمَــا محمَّدْ
رسولُ اللهِ حقًّا اتَّبعنــَا *** وآمنَّا وصَدَّقنــَا محمَّدْ

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: 102)..أما بعد،،، في البداية نستهل خطبتنا المباركة ونسعد ونستبارك بآيات الذكر الحكيم:

يقول الحق تبارك وتعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء: 36) .

قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ .وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: 1–11).

وقال جل شأنه: (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) (الفرقان: 63–68).

وقال عز وجل: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان: 13–19).

أيها الأحباب: حديثنا اليوم يدور حول مقومات بناء الإنسان والأوطان، والحفاظ عليها وتحقيق أمنها وسلامها، من خلال ترسيخ الأخوة والمحبة والتعايش..والقيم والأخلاق لها أهمية بالغة في الحياة..

لماذا قامت رسالةُ الإسلامِ على القيمِ ومكارمِ الأخلاق؟

عَلِمَ اللهُ (تعالى) أنَّ العالَمَ قبل بَعثة النبي (ﷺ) كان في أمَسِّ الحاجةِ إلى القيَم والأخلاق الضّابطة لِفكر الإنسان، ووَعْيه، وسُلوكه، وعَلاقتِه بربِّه (جلَّ وعلا)، وعلاقتِه مع الناس، ومع شتَّى مُفردات الطبيعة والكون.

وأنَّ الحياة عمومًا في حاجةٍ إلى القيَم والأخلاق.

وأنَّ تطورَ الحياة وتَعقُّدها سيَحتاجُ إلى تَعظيم القيَم الضابطة وتَمكينِها من الحياة؛ للإسْهام في ضبْطِ وَتيرَة الحياة وفقَ ما يريدُه الله .

فأرسلَ اللهُ نبيَّه لنَشر القيم، وبذْرها، وغَرْسها، وتَجْذيرها، ونَشْرها في قلبِ الإنسان وفي قلبِ المجتمع، وفي قلبِ العالم هذا وقد جَعلَ اللهُ (سبحانَه وتعالى) هذا الدينَ الحَنيف على مَراتب، وعدَّد فيه القُرباتِ والطّاعات، ونوَّعها ما بين:

- اعتقادات.
- عبادات.
- أخلاق
- معاملات.

وجعلَ العباداتِ مظاهرَ للاعْتقادات، كما جعلَ المعاملاتِ والأخلاقَ آثارًا للعبادات وثِمارًا للاعتقادات.

وتَتعاظمُ أهميةُ القيَم ومكانتُها في العَصر الراهن، وستَتَعاظمُ أكثرَ في المُستقبَلَيْن: القريبِ والبعيد، فعلى سبيل المثال: قديمًا إذا أطلقَ شخصٌ شائعةً فلربَّما لم تَنتشرْ وماتَت وطُويَت، أما لوِ انتشرتْ فسَيكون انتشارُها محدودًا وتأثيرُها مَحدودًا، أما الآن –وفي ظلِّ التَّطور التِقني الرَّهيب– فإنَّ الشخصَ بإمكانِه أن يُطلق شائعَة، ويَنشرَها في كلِّ مكان، وقد تَتسبَّب في إذْكاءِ الفتنة والصِّراع .والعياذُ بالله ومِن هنا تَتعاظَم الحاجةُ إلى القيَم والأخلاق، وهي الضابطُ الدّاخلي للإنسان.

ولمّا كانتْ رسالةُ الإسلام عامَّة، وشامِلة، وخاتمَةً لكلِّ الرسالات السابقة، فقد قامتْ على الأخلاق؛ والأخلاق من الدين كالروح من الجسد، والإسلام بلا خلق جسد بلا روح، لذلكَ يقول النبيُّ (ﷺ): (إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ)[2]، وفي رواية: (إنَّما بُعِثْتُ لأُتمِمَ صالحَ الأخلاقِ)[3]، وفي روايةٍ ثالثة: (بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأخلاقِ)[4].

ولقد أوْلَى الإسلامُ القيمَ والأخلاقَ عنايةً خاصَّة، وجعلها في مَكانةٍ عالية، وجَعلها مُلازمَةً للإيمان، لا تنفكُّ عنه بحالٍ من الأحوال، يقول الرسولُ (ﷺ): (أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا)[5].

ويقول عليه الصلاةُ والسَّلام: (لا إيمانَ لمنْ لا أمانةَ لَه، ولا دينَ لمنْ لا عهدَ لَه)[6].

وقد وصَّى النبيُّ (ﷺ) أبا ذرّ (رضي الله عنه) بتَقوى الله وحُسنِ الخُلق، فقال له: (اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبِعِ السَّيِّئَةَ الحسَنةَ تَمْحُها، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسَنٍ)[7].

وقيل: مَن زاد عليك في الخلق؛ زادَ عليكَ في الدين. ومِن هنا تتجلَّى مَكانةُ الأخلاق في الإسلام، ومدَى أهميتِها في حياة المؤمن؛ ذلك أنَّ أخلاقَه، وحُسنَ سلوكه لهما أهميةٌ حاسِمة في مَصيره وكَمال إيمانِه، وفي حياتِه، وفي أدائه الحَضاريّ المتميز الذي يجعل العالمَ يشيرُ إليه بالبَنان.إنَّ أيَّ نهضة أو تقدُّمٍ أو انطلاقٍ حَضاري نحو المستقبل، يَستلزم أن يرتكزَ على أساسٍ قويٍّ ومَتين، وهذا الأساسُ يتمثَّل في القيم والأخلاق، التي تقوي اللحمة المجتمعة والنسيج الوطني بحيث يكونَ قويا أمام التحديات وعصيا على السقوط مهما كانت التحديات

وهكذا كانت مُقوِّماتُ الإسلام الفريدة (العقائدية، والتشريعية، والأخلاقية) سَببًا في نشرِ الوسَطية والاعتدال، والرَّحمة والتَّراحم، والتَّوازن، والاسْتقرار والاطمئنانِ والاستقامةِ للفرد والمجتمع والناس أجمعين.

النبي يدشّن دولتَه الجديدةَ بخطاب عالمي لإفشاء السلام وصلة الأرحام:

ولقد دشّن الرسولُ العظيمُ الدولةَ الإسلامية الوليدةَ في المدينة المنورة بخطابٍ عالميٍّ لكلِّ الناس، ركَّز على مُقوِّمات النجاح والسعادة، وتتمثل في: السلام والوئام والأخوَّة والتَّعددية، تَرسيخِ الرَّحمة والتراحم، وبناءِ علاقةٍ قوية بالله تعالى؛ باعتبارها أساسَ كلِّ خير

(2) أخرجه الإمام الزرقاني في مختصر المقاصد – صحيح.
(3) أخرجه الإمام ابن عبد البر في التمهيد – صحيح.
(4) أخرجه الإمام ابن عبد البر في الاستذكار – مسند صحيح.
(5) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – حسن صحيح.
(6) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير – صحيح.
(7) أخرجه الإمام الترمذي والإمام أحمد.

فعنْ عبدِ اللهِ بنِ سلام (رضي الله عنه) قال: لَمَّا قدِمَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ) المدينةَ، انجَفلَ[8] النَّاسُ قبلَهُ، وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ)، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاس.. فَكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أن قالَ: (يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ)[9].

القيمُ والأخلاقُ النَّبوية المحورُ الأساسُ للحضارة الإسلامية:

الأخلاقُ والقيمُ هي المعاييرُ المرجعية الحاكمةُ للفكر والسلوك والتربية، التي يُقاس عليها السلوكُ الإنساني الرشيدُ في المجتمع، ومن ثمَّ فهي جالبةٌ للخير، طاردةٌ للشَّر، والمحركُ للأفراد والشُّعوب نحو الوعي والرُّقي وبقَدر ارتقاءِ الأخلاق في المجتمع يكون صلاحُه ورقيُّه، والعكسُ صحيح والأخلاقُ والقيم هي السندُ الأساس للدَّساتير والقوانين لتنظيم العلاقاتِ داخل المجتمعات وتُمثل الأخلاقُ والقيم ركنًا رَكينًا في رسالة الإسلام التي جاء بها خيرُ الأنام ومِسكُ الختام سيدُنا محمد (ﷺ)، هديةُ الله للكون وهدايتُه للعالمين

ولقد شاء الله الحكيم أن تتجسَّد كلُّ الكمالات البَشرية في شخصِه الشَّريف المعصوم .فقد حازَ كلَّ الكمالات البشرية، ونالَ كلَّ مقوِّمات النبْل والأخلاق السامية؛ إنه المربي الأعظمُ والمعلِّم الأكبر، الذي جاء بدستورِ دَساتير التربية الرَّشيدة (القرآن الكريم)، ودستورِ الأخلاق التي بلغتْ أعلى درجات النُّبل والرُّقي والرشْد الحضاري.

يقول الدكتور/ محمد المهدي: "..والرسالةُ الإسلامية على الرغم من تَميُّزها في جوانبِها المتعدِّدة، فإنَّ أهمَّ ما يُميزها هو أخلاقُ النبي (ﷺ)، فقد كانتِ المحورَ الأساس للحضارة الإسلامية كلها وإذا كان هناك حضاراتٌ كثيرة نَمَت وتَرعرت، ثمَّ ذبُلَت وزَالت، فإنَّ الحضارةَ الإسلامية بقيَت حتى الآن متوهِّجة، ومتألِّقة، وملهِمَة، ودافعةً لكثيرٍ من المجتمعات الإنسانية، على الرغم من بعضِ الهَنات في التاريخ الإسلامي لقد كان الجانبُ الأخلاقي في الحضارة الإسلامية هو أهمَّ ما يُميزها عن بقيةِ الحضارات، وكانت أخلاقُ النبي الكريم شيئًا عظيمًا أبهَرَ الأعداءَ قبل الأصدقاء"[10].

ولا ريبَ في أنَّ حبوبَ لقاح القيم التي نَثَرها النبي (ﷺ)، وبذورَ الأخلاق التي بَذَرها، وأشجارَ النُّبل التي غرسَها بأقواله وأفعاله وأخلاقه وتقريراته، في منهجه .وفي قلبِ الناس والمجتمع؛ تَستوجب تطبيقها في دنيا الناس لتعيشَ فينا ونعيشَ فيها وبها، ومن ثمَّ يتحقَّق فينا قولُ ربنا جلَّ وعلا: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران:110)، وحتى تَنجو سفينةُ البشرية إلى برِّ الأمان.

وإذا كانتِ القواعدُ الأخلاقية هي فنَّ الحياة، وميزانَ الحضارة، وبَوْصَلةَ السلوكِ الظاهر التي توازي بوصلةَ الضَّمير الخفي؛ فإنَّ مكارمَ العَظمة الأخلاقية قد تجسَّدت في أخلاقِ النبي الكريم، التي تَزاوجَت فيها أقوالُه وأفعالُه بشكل لم يسبقْ له نظيرٌ مِن قبل، ولن يحدث له مثيلٌ مِن بعد.

عالميةُ الرسالة وإنسانيةُ الرَّسول (ﷺ):

إنَّ أخلاقَ النبي العظيم قد أبهرتِ الأعداءَ قبلَ الأصدقاء نعم، ربما مَن يحبُّ رسولَ الله (عليه الصلاة والسلام) يتحيَّز له، ويتحمَّس لمدحِه، والثناءِ عليه، والانبهارِ بأخلاقه، بيدَ أنَّنا "لكي نكون مَوضوعيّين نحتاج إلى أن نرى بعيونٍ

(8) أي اتَّجَه النَّاسُ ناحيتَه مُسْرِعين.

(9) أخرجه الإمام ابن حبان – صحيح.

(10) أ.د/ محمد عبد الفتاح المهدي: أخلاق النبي (ﷺ) وصفات النفس السوية، برنامج الإسلام والحياة، بإذاعة القرآن الكريم من القاهرة، حلقة من تقديم الإذاعي القدير أ/ رضا عبد السلام.

محايدة، ذلك أنَّ العيون المحايدَة أثبتتْ للنبي (ﷺ) عظمةَ أخلاقه وارتقاءها وسموَّها لأقصى درجات العظمة والارتقاء والسُّمو، واكتمالها ونموها لأقصى درجاتِ الاكتمال والنُّمو، وتوازنها لأقصى درجاتِ التوازن وهنا تتجلَّى مَكامنُ العظمة! لماذا؟؛ لأنَّ بعضَ عظماء التاريخ ربما يتحلّون ببعضِ السمات الأخلاقية العليا، فبعضُهم كان شجاعًا.. وبعضُهم كان رحيمًا .وبعضُهم كان قويًّا .وبعضُهم كان متسامحًا...، ولكنْ لا ترى هذا التكامل، وهذا التوازن، وهذا النُّضج، وهذا الاكتمالَ كما كان في شخصية النبي (ﷺ) والسؤالُ المُلحُّ هنا من جانب علم النفس وعلم الاجتماع: كيف ليتيمٍ عاشَ مثلَ هذه الظروف القاسية جدًّا، حتَّى يتحلَّى بهذه المنظومة الأخلاقية على هذا المستوى الذي لا يوجَد له نظيرٌ من قبْل ومِن بعد؟! فلقد وُلِد يتيمَ الأب، ثمَّ ماتتْ أمُّه في بواكير حياته، ثمَّ تولّاه جدُّه ثمَّ مات، فتولّاه عمُّه . وهنا تتجلى المعجزةُ الإلهية لرسول الله؛ فلم يُربِّه أبوه، ولم تُربِّه أمه..إلخ؛ بل ربَّاه الله تعالى، وأدَّبه بأدبِ القرآن ولنا أن نتخيَّل أنَّ إنسانًا قام بتربيتِه ربُّ العالمين، فإننا نتوقَّع كلَّ مستويات الكمال والارتقاء والسُّموق والسُّمو في شتى جوانبِ الأخلاق، بالشَّكل الذي رأيناه في أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام ولمَ لا، وقد مدحَه اللهُ بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:4)، وحين يمدحُ أحدٌ أحدًا فأنتَ ترى مَن المادح، وتُصبح قوةُ المدح مِن قوةِ المادح، ومِن عظمتِه .فإذا كانَ اللهُ سبحانه قد وصفَه في عَلبائه بأنه على خُلُق عظيم، فإنه يُشير إلى معجزةٍ أو آية عُظمى في الأخلاق تقول السيدةُ عائشة (رضيَ اللهُ عَنْها) التي عاشتْ معه وخالطتْه في كلِّ تفاصيل حياته: (كَانَ خُلُقُه الْقُرْآن)[11]؛ لذلك فحين تبحثُ عن أخلاقِه فإنه يسهلُ عليك أن تراها في الآياتِ القرآنية، وفي الأحاديث النبوية.. في أقواله.. في أفعاله.. في خِلاله..إلخ والسببُ في ذلك أنَّ الرسول لم يكن مُنَظِّرًا ولم يكن فيلسوفًا، ولم تكنْ أقواله مُنفصلةً عن أفعاله أبدًا، فكلُّ كلمة قالها، وما وردَ بشأنه في القرآن؛ تَراه ماثلًا عَيانًا بيانًا في تجسيدٍ حيٍّ في شخصيته وهذا أمرٌ مُعْجز؛ لأنه ربما قال الفلاسفةُ والمفكرون والمصلحون –في كثيرٍ من العصور– كثيرًا من الكلام الجميل والعظيم، بيدَ أنَّ ما قالوه لم يكن ماثلًا في واقع حياتهم، أما الرسولُ (ﷺ) فكان كلُّ كلمة قالها أنموذجًا حيًّا متجسِّدًا في سلوكه وفي حياته"[12]، وكانت حياتُه كلُّها صفحةً شَريفة ومفتوحة لكي يتعلمَ منها الجميع.

وهكذا، فنحن إذًا إزاءَ حالةٍ فريدة، فالمؤدِّب هو الله، والمؤدَّب هو رسولُ الله، والواسطةُ هو جبريلُ الأمينُ عليه السلام، إنها كمالاتٌ وكراماتٌ ومُعجزات، ولعلَّ هذا ما يفسِّر إقبالَ ملايين البشر في شتى أنحاء العالم على سيدِنا محمد، وتوْقَ أفئدتِهم إليه، وتعلُّقَ قلوبهم به، وهُم لم يروْنَه من قبل، حيث لا صورةَ له تربطُهم به، وإنما الجامعُ والجاذبُ والمحفِّز لهم صالحَ الأخلاق التي جاء ليتمَّها بأمرِ ربِّ العالمين.

الأخلاق الكريمة ترفعك في حيز الدين:

أخوة الإيمان، نسبة الأخلاق إلى الدين كنسبة محرك الطائرة إلى الطائرة –كما يقول د/ محمد راتب النابلسي– قد نُعنى بمقاعدها، و قد نعنى بنوافذها، و قد نعنى بمرافقها و قد نعنى بجوها المكيف، فإذا أهملنا محرّكاتها ستبقى على الأرض جاثمة لا تطير، لأن سبحانه و تعالى يقول: (...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...) (فاطر: 10).

منظومة القيم والأخلاق في الإسلام وأهميتها البالغة في الحياة:

قدَّم الإسلام منظومة قيمية وأخلاقية متكاملة وفريدة، من شأنها حال التمسك بها أن تُصلح الفرد والمجتمع والحياة، وتحقيق التقدم والازدهار المنشود للأمة الإسلامية؛ ذلك أنه لما تمسك المسلمون بمنهج الله أسسوا حضارة عظيمة شامخة أضاءت جنبات الدنيا، وأسهمت في تغيير وجه الحياة، واستفاد منها الشرق والغرب على حد سواء.

---

(11) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(12) أ.د/ محمد عبد الفتاح المهدي: أخلاق النبي (ﷺ) وصفات النفس السوية (مرجع سابق) بتصرف.

ومنظومة القيم (الإيمانية والحضارية والعلمية والأخلاقية) التي تأسست على الوحيين الشريفين (القرآن والسنة) هي التي نهضت بالأمة في عصورها الزاهرة، وجعلت من المسلمين العالم الأول آنذاك .

والجليل في القيم الإسلامية أنها تعد مطلبًا دينيًّا أصيلا؛ الأمر الذي أعطاها قيمة مضافة فوق قيمتها، ومنحها مزية التطبيق الإيماني والتعبدي والإرادي على أرض الواقع في كل وقت وفي كل مكان .

ذلك لأن القيمة عندما تستمد قداستها من العمق الديني فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيرا في حياة الإنسان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أقوى أنواع الضبط للسلوك الإنساني هو الضبط الإرادي، وهذا الضبط لا يمكن أن ينتج إلا من القيم والأخلاق والمبادىء التي يدعمها الإيمان الجامع بها .

للقيم الإسلامية فوائد كثيرة لا تعد ولا تحصى:

- فلولا القيم والأخلاق لَمَا استقرت الحياة ولا استمرت على الأرض، فهي الموجه للإنسان نحو الصلاح والإصلاح، والنجاح والفلاح، والرشد والرشاد.
- وهي الحافظ له من الوقوع في الخطأ والعاصم من ارتكاب المعاصي.
- وهي التي تشكل المناعة الفكرية والحصانة السلوكية للفرد ومن ثم المجتمع.
- وهي التي تؤدي إلى الحفاظ على الفطرة السليمة
- وهي المحكات التي تميز بين الخير والشر .الصواب والخطأ .
- وهي التي تحمي المجتمعات من الذوبان، وتحفظ أمنها وسلامتها واستقرارها على الدوام
- وهي التي تقضي على الأحقاد والشهوات والجشع وسعار الأنانية .
- والمجتمع الذي تسوده القيم وتحركه المبادئ والأخلاق والأعراف السليمة تزدهر طاقاته الإيمانية والجسمانية والفكرية والروحية والإبداعية، وتثريه التعددية وتسوده علاقات المحبة والمصالح المشتركة وتزدهر فيه الثقافات وتتعايش مكوناته جنبًا إلى جنب بغير عداوات أو كراهية أو صراعات..

القيم هي الأساس والقاعدة الصلبة للتقدم والازدهار:

ومنظومة القيم هي الأساس والقاعدة الصُّلبة التي يلزم أن تكون **موجودة وفاعلة ومؤثرة**؛ لكي ينهض المجتمع ويتقدم ويزدهر..

- فما فائدة البناء والإعمار إذا كانت ذمة المهندس الذي بناه خربة..؟!.
- وما فائدة النهوض والازدهار وذمم بعض الناس خربة..؟!.
- وما فائدة العلاج إذا كانت ذمة من صنعه خربة..؟!
- وما فائدة الطب إذا كانت ذمة الطبيب المعالج خربة..؟!
- وما فائدة الخطب الرنانة والأحاديث البليغة إذا كان المتحدث يخالف قوله فعله..؟!.
- ما فائدة التعليم إذا كان المعلم يفتقد القيم..؟!..وهكذا.

القوانين والمحركات الداخلية الصامتة التي تعمل في سكينة بدون ضجيج:

فالقيم إذن هي القوانين والمحركات الداخلية الصامتة التي تعمل في سكينة بدون ضجيج وبلا كلل ولا ملل؛ لتصوغ:

- ✓ ضميرًا حيًّا بالحق والعدل ومجابهة الظلم والفساد.
- ✓ وقلبًا نابضًا بالمحبة لله ثم للعالمين

✓ **وإنسانًا** صالحًا يُعَمِّر الحياة بمنهج الله.

✓ **ومجتمعًا** فاضلا يتحقق فيه قول الله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ...) (آل عمران:**110**).

وقد أبدع الشاعر حينما قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقم
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة:

حسن الخلق ليس مجرد كلام يُقال أو شعارات تُرفع، بل هو منهج حياة وسلوك يومي يُمارَسه المسلم في علاقته بربه، ومع الناس، ومع مخلوقات الله ومع نفسه وقد أثنى الله على نبيه (ﷺ) فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4)

فعن أبي هريرة (رَضِيَ اللهُ عَنه) قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ (ﷺ) عن أكثر ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال : (**تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ، وسُئِلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ، قال : الفَمُ والفَرْجُ**) (13)

أي: أكثرِ شيءٍ مِن الأقوالِ أو الأفعالِ أو الأحوالِ الَّتي تُقرِّبُ العبد إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، وتَجعَلُه يَفوزُ بدُخولِ الجنَّةِ.

"تَقْوى اللهِ"، أي: أكثَرُ شيءٍ يُقرِّبُ العبدَ مِن ربِّه عزَّ وجلَّ، ويَجعَلُه يَفوزُ برِضا اللهِ عزَّ وجلَّ، ويُدخِلُه الجنَّةَ أن يتَّقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ في أقوالِه وأفعالِه وأحوالِه، والتَّقوى هي الخوفُ مِن اللهِ مع مُراقَبتِه جلَّ جلالُه.

"وحُسنُ الخُلُقِ"، بأن يُعامِلَ الشخص النَّاسَ بخُلُقٍ حسَنٍ؛ بحيثُ لا يُؤذِي أحَدًا بقولٍ أو فعلٍ، ولا يَنطِقُ إلَّا بما يُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ.

والسؤال الذي يراودنا دوما:

لماذا اختار النبي الكريم هذين الأمرين (تقوى الله – وحسن الخلق) بالذات؟

والإجابة:

- لأن تقوى الله أساس كل خير، ولأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، ولأن تقوى الله تجعل الإنسان يخاف من الجليل (جل وعلا)، ويرضى بالقليل، ويعمل بالتنزيل، ويستعد دوما ليوم الرحيل.
- ولأن حسن الخلق يصلح ما بين الشخص وما بين الناس، فلا يسرق ، ولا يغتب، ولا يكذب، ولا ينافق، ولا يداهن، ولا يؤذي خلق الله، ولا يشهد زورا....إلخ.

النبي(ﷺ) يعلمنا حسن حسن الخلق ويدربنا عليه (قصص ومواقف)

- **حسن خلق النبي (ﷺ) مع الرجل الذي بال في المسجد:**

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: بيْنَما نَحْنُ في المَسْجِدِ مع رَسولِ اللهِ (ﷺ) إذْ جاءَ أعْرابِيٌّ فَقامَ يَبُولُ في المَسْجِدِ، فقالَ أصْحابُ رَسولِ اللهِ (ﷺ): مَهْ مَهْ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ): (لا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حتَّى بالَ).

(13) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ (ﷺ) دَعاهُ فقالَ له: (إنَّ هذِه المَساجِدَ لا تَصْلُحُ لِشيءٍ مِن هذا البَوْلِ، ولا القَذَرِ؛ إنَّما هي لِذِكْرِ اللهِ (عزَّ وجلَّ)، والصَّلاةِ وقِراءَةِ القُرْآنِ)، أوْ كما قالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) قالَ: فأمَرَ رَجُلًا مِنَ القَوْمِ فَجاءَ بدَلْوٍ مِن ماءٍ فَشَنَّهُ عليه (14).

• حسن خلق النبي (ﷺ) مع الرجل الذي دعا دعاء غريبا جدا:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: دخلَ أعرابِيٌّ المسجِدَ، والنبيُّ (ﷺ) جالِسٌ ، فصلَّى ، فلما فرغَ قال: اللهمَّ ارحمني ومحمدًا، ولَا ترحمْ معنا أحدًا، فالتفتَ إليهِ النبيُّ (ﷺ) فقال : (لقدْ تَحَجَّرْتَ واسعًا)، فلم يلبثْ أنْ بالَ فِي المسجدِ، فأسرعَ إليه الناسُ، فقال النبي (ﷺ): (أهْريقوا عليْهِ سَجْلًا مِنْ ماءٍ ، أوْ دلْوًا مِنْ ماءٍ)، ثُمَّ قال : (إنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرينَ ولَمْ تُبْعَثوا مُعَسِّرِيْنَ) (15).

• حسن خلق النبي (ﷺ) مع الأعرابي الذي آذاه بالحدة، والشّدة، والغلظة:

كان النبيُّ (ﷺ) يَسيرُ ذاتَ يومٍ فأدركه أعرابيٌّ من أهل البادية– وهُم غِلاظٌ شِداد–، فجذبَ النبيَّ جذبًا شديدًا، فأثَّر في عنقه الشريف.

وبعدَما آذى النبيَّ بالفعل، آذاه أيضًا بالقول: (بالحِدَّة، والشِّدة، والغِلظة) قائلًا له: يا محمد، مُرْ لي مِن مَالِ اللَّهِ الذي عِنْدَكَ!.

فماذا فعلَ معه النبيُّ (ﷺ)؟

يقول أنسُ بنُ مالك: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النبيُّ فَضَحِكَ –ابتسم–، ثُمَّ أَمَرَ له بعَطَاءٍ!

فعنْ أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: كُنْتُ أَمْشِي مع النبيّ (ﷺ) وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حتَّى نَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النبيّ (ﷺ) قدْ أَثَّرَتْ به حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِن شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قالَ: مُرْ لي مِن مَالِ اللَّهِ الذي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ له بعَطَاءٍ(16).

نَفهمُ من عَفو النبيِّ عنِ الأعرابي أمريْن:

الأمرُ الأوَّل: أنَّ النبيَّ (ﷺ) كان من طَبعه ومِن حسن خلقه أنَّه لا يردُّ الإساءةَ بالإساءة؛ بل يردُّها إحسانًا وعفوًا وصفحًا جميلًا، واضعًا نصْبَ عينيه كلَّ الآياتِ الداعية إلى العَفو والصَّفح والتسامح والتسامى والمغْفرة والصَّبر وكَظم الغيظ، والإحسان إلى خَلق الله، وإلى شتى مَخلوقات الله.

الثاني: وهى قضيةُ تَقزيم المشكلة، وتَصغيرها وعدمِ تَكبيرها، والتماس الأعْذار ولقد سبقَ النبيُّ الكريم خبراءَ التَّنمية البشرية بمئات السنين؛ حيث إنَّ تَقزيمَ المشكلة يتسبَّب في حلِّها.

والنبيُّ كان قادرًا على ردِّ الإساءة، ولكنه صاحبُ الخلق العظيم، لا يردُّ الإساءةَ بالإساءة؛ بل يردُّها إحسانًا وعفوًا وصفحًا جميلًا، ومِن هنا نأخذ من أخلاقِه أعظمَ الدُّروس التَّربوية وكيف لا يَعفو، والنبيُّ (ﷺ) أولُ مَن نزل عليه قولُ الله تبارك وتعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: 133).

---

(14) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه

(15) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – حسن صحيح "ومعنى: أَهْريقوا عليه"، أي: صُبُّوا على بوله، "سَجْلًا من ماءٍ– أو دَلْوًا مِن ماءٍ–"، والسَّجْلُ بمعنى الدَّلو، وهو وِعاءٌ كَبيرٌ للماءِ.

(16) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- **حسن خلق النبي (ﷺ) مع كبار القوم:**

تكريمُ كبير القوم، وإنزالُ الناس منازلهم، حيث كرَّم النبي (ﷺ) أبا سفيان، حيث قالَ (ﷺ): (مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهو آمِنٌ...)[17] ولنا أن نتأمَّل في قول النبي (ﷺ): (مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهو آمِنٌ...) لقد تفرَّد في كيفية معاملة النُّفوس البشرية، وكيف كانتِ السماحةُ والرفقُ والعفو النبويُّ بدلًا من الإذلالِ والانتقام فتأثرَ أبو سفيان (رضيَ اللهُ عَنْه) بهذا الموقف العظيم، ولم يملكْ إلا أنْ قال: "بأبي أنتَ وأمّي يا محمد، ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك"! وكان هذا الموقفُ النبويُّ الكريم دعمًا نفسيًّا ومعنويًّا وتثبيتًا له على الإسلام وتقويةً لإيمانه، وتطمينًا له بأنَّ مكانتَه عند قريش وغيرها وهذا منهجٌ نبويٌّ كريم، يجبُ على السادة الدُّعاة والمربّين وعمومِ الناس؛ أن يَستوعبوه جيدًا، ويعملوا به في تعامُلهم مع الناس[18].

- **حسن خلق النبي (ﷺ) مع الضعفاء والفقراء:**

في فتح مكة أمرَ النبيُّ الكريم (ﷺ) بلالَ بن رباح (رضي الله عنه) بإطلاقِ الأذان بصوتِه النَّدي من فوق الكعبة، بيدَ أنَّ بعضَ أهل مكة استهزؤا منه، فقال بعضُهم: ألم يجدْ محمد غيرَ هذا الغراب الأسود مؤذنًا؟![19]،

فأنزلَ اللهُ تعالى على نبيه الكريم، قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: 13)؛ ليُساوي بين الناس، ويُعلنَ أنَّ أساسَ المفاضلة ومِعيارَها التقوى والعمل الصالح.

لتكون هذه الآية جبرا لخاطره وخاطر من على شاكلته.

من مشكاة النبوة:

الأموال مهمة .ولكنها لا تكفي:

عن أبي هريرة (رَضِيَ اللهُ عَنه) أن رسولُ اللهِ (ﷺ) قال: (إنَّكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالِكم، ولكن يَسَعُهم منكم بسطُ الوجهِ وحسنُ الخُلُقِ) (20).

صدقات بالجملة:

عن أبي هريرة (رَضِيَ اللهُ عَنه) قال: رسولُ اللهِ (ﷺ): (تَبَسُّمُكَ في وجْهِ أخِيك لكَ صدَقةٌ، وأمرُك بالمعروفِ و نهيُك عن المنكرِ صدقةٌ، و إرْشادُك الرجلَ في أرضِ الضَّلالِ لكَ صدَقةٌ، و إماطَتُك الحجرَ و الشَّوْكَ و العظْمَ عن الطَّريقِ لكَ صدَقةٌ، و إفراغُك من دَلْوِك في دَلْوِ أخِيكَ لكَ صدَقةٌ) (21).

مَن تبَسَّمَ في وجهِ أخيه المُسلِم وجعَل وجهَه بَشُوشًا في وجهِ إخوانِه، كان له بكلِّ تبسُّمٍ كأجرِ صدَقةٍ، "وأمرُك بالمعروفِ ونهيُك عنِ المُنكَرِ صدقةٌ"، أي: ومَن أمَر بمعروفٍ مِن الطَّاعاتِ والخيراتِ أو نهى عن مُنكَرٍ مِن المعاصي أو الشَّرِّ والأذَى، كان له كأجرِ صدقةٍ، "وإرشادُكَ الرَّجلَ في أرضِ الضَّلالِ لك صدَقةٌ"، أي: ومَن أرشَد أحدًا

---

(17) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(18) من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
184525https://www.islamweb.net/ar/article/

(19) يقول ابن عباس (رضي الله عنهما): لما كان يوم فتح مكة أمر النبي (ﷺ) بلالًا حتى علا على ظَهر الكعبة فأذَّن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم قال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنًا؟! وقال سهيل بن عمرو: إن يردِ اللهُ شيئًا يغيّرْه وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئًا أخاف أن يخبر به ربُّ السماء، فأتى جبريل النبي (ﷺ) وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقرّوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية (راجع: تفسير الإمام القرطبي).

(20) أخرجه الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري لابن حجر – إسناده حسن.

(21) أخرجه الإمام الترمذي وابن حبان.

ضالًّا لا يعرِفُ الطَّريقَ إلى الطَّريقِ الَّذي يُريدُه، كان له كأجرِ صدَقةٍ، "وبصَرُكَ للرَّجلِ الرَّديءِ البصَرِ لك صدَقةٌ"، أي: ومَن أعان ضَريرَ البصَرِ أو الأعمى على بُلوغِ أمرِه ووصولِه مطلَبَه، كان له كأجرِ صدَقةٍ، "وإماطتُك الحجَرَ والشَّوكَ والعَظْمَ عن الطَّريقِ لك صدَقةٌ"، أي: ومَن أزاح الأذى عن طريقِ المُسلِمين، كان له كأجرِ صدَقةٍ، أيًّا كان ذلك الأَذى؛ حجَرًا أو عَظْمًا، أو غُصْنَ شَوكٍ، ونحو ذلك من الأذَى، "وإفراغُك مِن دَلوِكَ في دَلْوِ أخيك لك صدَقةٌ"، أي: ومَن أعان أخاه في السَّقْيِ، فأفرَغ مِن إنائِه في إناءِ أخيه، كان له كأجرِ صدَقةٍ، وعلى ذلك كلُّ إعانةٍ تُعِينُ بها المُسلِمين، أو تُساعِدُهم؛ ففي كلِّ مَعروفٍ صدقةٌ، وفي كلِّ إحسانٍ صدَقةٌ، وفي كلِّ مساعدةٍ صدَقةٌ وفي الحديثِ: بيانُ كَثرةِ طُرقِ الخَيرِ، وأنَّ الصَّدقةَ تكونُ مِن غيرِ المالِ.

غرف الجنة العجيبة لمن؟:

عن علي بن أبي طالب (كرَّم الله وجهه) قال: رسولُ اللهِ (ﷺ): (**إنَّ في الجنَّةِ غُرفًا تُرَى ظُهورُها من بطونِها وبطونُها من ظُهورِها فقامَ أعرابيٌّ فقالَ لمن هيَ يا رسولَ اللَّهِ : فقالَ لمن أطابَ الكلامَ وأطعمَ الطَّعامَ وأدامَ الصِّيامَ وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ**) (22).

يقولُ النَّبيُّ (ﷺ): "إنَّ في الجنَّةِ غُرُفًا" جمْعُ غُرْفَةٍ وهى الحُجْرةُ، "يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها"، أي: أنَّها غُرَفٌ شفَّافةٌ يَرى مَن بداخِلِها مَنْ خارِجَها، ويَرى مَن خارِجَها مَنْ بداخِلِها، كأنْ تكونَ من زُجاجٍ أو أَلْماس أو دُرّ وياقوتٍ، ولا يَعلَمُ حَقيقَتَها إلَّا اللهُ

فقال الصحابيُّ الجليلُ أبو مالِكٍ الأشْعريُّ رضِيَ اللهُ عنه: "لِمَنْ هى يا رسولَ اللهِ؟ أي ما هى الأعْمالُ التى إذا أتى بها صاحِبُها في الدُّنْيا ظَفر وفازَ بها في الآخِرَةِ؟ فقال النَّبيُّ (ﷺ): "هى لِمَن أطابَ الكلامَ"، أي: لِمَن تكلَّم بطِيب الكَلامِ، وتَرَكَ قَبيحَه وشَرَّه، وهذه كِنايَةٌ عن حُسْن الخُلُق، "وأَطْعَمَ الطَّعامَ"، أي: وأَطْعَمَ الجَوْعى من الفُقراءِ والمَساكينِ، وهذه كِنايَةٌ عن الصَّدَقةِ والإنْفاقِ، "وباتَ قائِمًا والناسُ نيامٌ"، أي: وحافَظَ على قِيامِ اللَّيلِ والتَّهجُّدِ للهِ عزَّ وجلَّ، والناسُ في غَفْلةٍ نائِمونَ.

كثرة الصلاة والصيام ولكنها تؤذي جيرانها:

عن أبي هريرة (رَضِي اللهُ عَنه) قال: قال رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن كَثرَةِ صَلاتِها، وصيامِها، وصَدَقتِها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلِسانِها قال: (**هي في النَّارِ**)

قال: يا رسولَ اللهِ؛ فإنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صيامِها، وصَدَقتِها، وصلاتِها، وإنَّها تصَدَّقُ بـ: الأثوارِ مِنَ الأقِطِ، ولا تُؤذي جيرانَها بلِسانِها قال: (**هي في الجنَّةِ**) (23).

من العوامل التي ترسخ حسن الخلق لدى الفرد والمجتمع:

- **ترسيخ الأخوة الإنسانية**، وأننا جميعًا من نفسٍ واحدة، ومن ثمَّ نحن إخوة، ويجب أن تكون هذه الحقيقةُ ماثلةً أمامنا على الدوام.
- **حفظُ الأعراض**، وعدمُ سُخرية الإنسان من أخيه، وعدمُ التَّنابز بالألقاب، واجتنابُ الظنّ السَّيّئ، والابتعادُ عنِ التَّجسس، والتلصُّص، والغيبة، والنميمة..وغيرها من الآفات الهدّامة للبناء الاجتماعي، والمؤجّجة للصِّراع في جَنبات المجتمع

(22) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(23) أخرجه الإمام أحمد واللفظ له، و الإمام ابن حبان ، و الإمام الحاكم – إسناده حسن.

- **الصدقُ** والبعدُ عن الكذب، فقد قال (ﷺ): (عليكم بالصِّدقِ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ صِدِّيقًا وإيَّاكم والكذِبَ فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفجورِ وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا)[24].
- **تحريم الغشِّ والتَّدليس والخداع**، فالإسلام أيها القارئ الكريم لا يرضى أبدًا لمجتمعاتِه أن يَتغالَب فيها الناسُ بالمكر والخديعَة والفتن والنوايا الخبيثة؛ بل يريد مُجتمعًا تَسْري في أوصاله شَرايينُ الأخوَّة، ودماءُ الصدق، والنُّبل، والعفاف، وتحرّي الحلال، ومن قبْل ذلك كلِّه الإخلاص لله.
- **جهاد النفس** على الدَّوام من الأمور الصَّعبةِ والشّاقة على الإنسان، وقد جاءَ رجلٌ للنبيِّ (ﷺ) وقال له: أوْصِني، قالَ: (لا تَغْضَبْ) فَرَدَّدَ مِرارًا، قالَ: (لا تَغْضَبْ)[25]
- **حب الخير للناس**، قال النبي (عليه الصلاة والسلام): (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[26].
- **ضبطُ اللِّسان**، وقولُ الحقِّ والصدق، وانتقاءُ الكلمات الطيّبة المريحة للقلب والنَّفس والعقل والوجْدان عند الحديث مع الآخرين، فقال (ﷺ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيصمُتْ)[27]

فإذا أردْنا النجاةَ والعَيش في هَناءةٍ وسَعادة واستقرار واطمئنان؛ فعلينا أن نحفظَ ألسنتنا، ولا نلوّثها أبدًا بالكلماتِ النابية، أو الخارجة، أو بالساقط مِن الكلام، أو التَّجرّؤ على خلقِ الله، وهنا نَستدعي ما قاله الصحابيُّ الجليل أنسُ بنُ مالك (رضي الله عنه) عن خِدمته لرسول اللهِ (ﷺ) عشر سنين، فما قال له أُفٍّ قطُّ، وما قال له لشيءٍ صنعه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيء تركه: لِمَ تركتَه

- **البعد عن الجدال والكذب**: يقول (ﷺ): (أنَا زَعِيمُ بَيتٍ في رَبَضِ الجنةِ، لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وبَيتٍ في وسَطِ الجنةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإنْ كان مازِحًا، وبَيتٌ في أعلى الجنةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)[28].
- عدمُ التَّدخُّل فيما لا يعْنينا، يقول النبي (ﷺ): (مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيهِ)[29] وقديمًا قالوا: مَن تدخَّل فيما لا يعْنيه لقيَ ما لا يُرضيه فهَنيئًا لمن ضبطَ فُضوله وانشغلَ بحالِه وإصلاح نفسه وعياله.
- **تَرسيخُ قيمة الرفق**، واللِّين والبُعد عنِ الخشونة والغِلظة والتَّيسير على النَّاسِ والمخلوقات، فالرفقُ مِن جَواهر الأَخلاقِ الإسلاميَّةِ، واللهُ (سبحانه وتعالى) رفيقٌ يُحبُّ مِن عبادِه الرِّفقَ، فقال عليه الصلاةُ والسَّلام: (إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ)[30] فالرفقُ يُزيّن الأشياءَ ويجعَلها حَسَنة جَميلة، وعندما يُنزَع من الأشياء يَعيبُها ويَجعلها قَبيحة والرفقُ عندما يَسودُ في حياة الفرد والأسْرة والمجتمع يُسهِم في سيادةِ الرحمة والتَّراحم في الحياة.
- **البعد عن التَّعقيد والجمود والتشدّد والتزمّت والإفراط أو التفريط**؛ والتزامُ التَّيسير والتوازن والوضوح، فديننُا واضحٌ لا غموضَ فيه، ولا لبسَ فيه، ولا تَناقضَ فيه، وتَعاليمُه سَهلة ميسَّرة، تناسبُ الإنسان في كلِّ زمان ومكان، قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...) (الحج: 78)

(24) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(25) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(26) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(27) أخرجه الإمام ابن حبان.
(28) أخرجه الإمام أبو داود في سننه.
(29) أخرجه الترمذي وابن ماجه.
(30) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

- **أن يكون المسلم هاشًا باشًا بسامًا بشوش الوجْه قدوةً حسنة**، مهندمًا، نظيفًا، جميلًا على الدَّوام.
- **الإحسان إلى الطفل الصغير**، فهو هديةُ الله، وهو أمانة، وأنه عَجينةٌ غالية جدًّا، ومن ثَمَّ يجب أن نُشكِّلها على أفضل ما يكون وَكَانَ النبي (ﷺ) أَرْحَمَهمْ قَلْبًا، يَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ إِذَا سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، كَرَاهَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ.
- **البعد عن الغيبة والنَّميمة**، فهُمَا من الكبائر، ومن أسباب الإفلاسِ يوم القيامة، وقد حذَّر النبيُّ (ﷺ) من ذلك، ذلك أن الْمُفْلِس مِنْ أُمَّتِه يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ...، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْتَصُّ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار.
- **إشاعةُ الحب في جَنبات المجتمع**؛ ذلك أنَّ الحبَّ يجب أن يكون في الله .ولله، وأن يسودَ في كلِّ مكان، وقد جعلَ اللهُ الحبَّ ركنًا في الإيمان، ودليلًا على صدقه.
- **مساعدةُ الضُّعفاء، والتَّيسير على المعسرين**؛ ببَذلِ القَرض من الموسِرِ للمُحتاج من دون فائدة، ومن الإحسانِ أن يكون مفتوحًا حتى يصيرَ المحتاج مَيْسورًا، ولا شكَّ في أنَّ التنازلَ عن القرض عند الإعسار يُعدُّ من قِمم الإحسان عندئذ، يقول تعالى: (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 280).
- **النَّهي عن سائر المعاملات المؤجِّجة للخلاف والتَّباغض بين الناس**، فعن أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: "نَهَى رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، ولَا تَنَاجَشُوا، ولَا يَبِيعُ الرَّجُلُ علَى بَيْعِ أخِيهِ، ولَا يَخْطُبُ علَى خِطْبَةِ أخِيهِ، ولَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ ما في إنَائِهَا"[31].
- **النَّهي عن الإسراف والتَّبذير والبخل والأثرة والشُّح** وإضاعة المال بإنفاقه في غير محلِّه ولو كان قليلًا.
- النَّهي عن تَكديس الأموال وتَجميدِها، والنَّهي عن الرِّبا باعتبارها أحدَ أخطر الأمراض الاجتماعية التي تمثِّل أسوأ صور استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.
- **النَّهي عن الغشِّ والخداع بشتَّى صوره وأشكاله**، وقد أعلنَها نبيُّنا العظيم مُدوِّيةً في سَمع الزمان: أنَّ مَن غشَّ فليس منَّا نعم .لقد مرَّ النبيُّ (ﷺ) في الأسواق ذاتَ يومٍ فوجد رجلًا يضع الطعامَ الجيد في أعلى الوعاء؛ ليَظهرَ للناس، ويضعُ الرَّديء في أسفلِه؛ ليُخفيه عنهم، فقال (ﷺ) له: (مَن غشَّ فليسَ مِنَّا)[32].
- **الوفاء بالدين وحقوق الآخرين**، فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (مَن أخَذَ أمْوالَ النَّاسِ يُريدُ أداءَها أدَّى اللَّهُ عنْه، ومَن أخَذَ يُريدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللَّهُ)[33] وهنا إشادةٌ نبوية بِفَضل المَدين الذي يَنوي الوَفاءَ بدَينِه، ووعيدٌ شديدٌ لِلمَدينِ الَّذي يَنوي أكلَ مالِ دائنِه وعدَمَ سَدادِ دَينِه.

حمايةُ الجار وإكرامُه والحفاظُ عليه والوصيةُ الكاملة به: يقول (ﷺ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِمْ جارَه)[34]

- **أن نُخفضَ أصواتَنا عند الكلام مع الناس**، بحيث تكون مَسْموعة، ومحقِّقةً للغَرض، ولا نَرفع أصواتَنا على غيرنا؛ لأنَّ ذلك يعدُّ سوءًا في الأدب، وخَللًا في التربية، قال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ

(31) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(32) أخرجه الإمام المنذري في الترغيب والترغيب.
(33) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(34) أخرجه الحافظ ابن حبان.

الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:17-19).

- **كظم الغيظ، ومجاهدة النَّفس وضبطها**؛ فهي أشدُّ من مجاهدةِ العَدُوّ، والبعدَ عن الغضب، فعن أبي هُريرةَ (رضيَ اللهُ عَنْه): أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قال: (ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)[35] فلا تظُنُّوا أنَّ الرَّجل القويَّ هو مَن يَتمتَّعُ بقوَّة بَدنية يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين؛ ولكنه القويُّ في إرادتِه، المتحكمُ في نفْسِه عندَ الغَضب، الحليمُ الكاظم غَيْظَه، المانعُ نفْسَه عن إيذاءِ النَّاس وبذلك فإنَّ مُقاومةَ الغضبِ وامتلاكَ النَّفس عند وُقوعِه مِن أفضل الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتي يُثابُ عليها الإنسان.
- **المسؤولية الاجتماعية، والإيجابية**، وترسيخَها في نفس النَّشْء منذ الصغر، بحيث يكون مَسئولًا وإيجابيًّا في كُلِّ أحْوالِه، ونافِعًا لنَفْسِه، ولغَيْرِه ولوطنه
- **حسن التَّودّد، والمزاورة، والمواصلة، والمكارمة، وإنزال الناس منازلهم**، واحترامَ كبار القوم، والشّيوخ والمسنّين، وشتى القوى المكوّنة للمجتمع، وإكرامَهم
- **التّيسير على الناس وسترهم**، فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: قال رسولُ الله (ﷺ): (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ)[36].
- **السعي على الأرملة والمسكين**،– والأرملةُ هي التي ماتَ عنها زوجُها، وسُمِّيَت بذلك لِما يحصُلُ لها من الإرمالِ؛ وهو الفَقرُ وذَهابُ الزّادِ بفَقدِ الزَّوج والمسكينُ هو الَّذي ليس له مِنَ المالِ ما يَسُدُّ حاجتَه–، وأنَّ الساعيَ عليهما– وهو الَّذي يقومُ بمصالِحِهما ومُؤنَتِهما وما يَلزمُهما– له مِثلُ أجر المجاهد في سبيل الله لإعلاءِ كلمته، أو مثلُ أجر الذي يقوم ليلَه بالصلاة والذِّكر والدُّعاء الصَّائم بالنَّهار، يقول النبي (ﷺ): (السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أو القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ)[37]
- **العناية الفائقة باليتيم** ورعايته جُسمانيًّا وعاطفيًّا والرَّحمة به، وترسيخَ حقوقه وتكريمه، فقد قرَّرَ الرسولُ الكريم (ﷺ) حقوقَه كاملةً قبل العالم بأربعة عشَر قرنًا، ومن أهمِّها: حقُّ الحياة، وحقُّ النَّسب لأبيه لا إلى غيره، قال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..) (الأحزاب:5)، وحقُّ الرضاعة، وحقُّ النَّفقة، وحقُّ الوَلاية على الحضانة والنَّفس والمال، وحقُّ الرحمة .والتحذيرُ من إيذائه بأيّ صورةٍ من صور الإيذاء، سواء أكان حِسيًّا أم معنويًّا .مباشرًا أم غير مباشر .بالقول أم بالفعل .بصريح العبارة أم بكِنايتها .يقول تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى:9)، وقد أحاطَ اللهُ (سبحانه وتعالى) أموالَ اليتيم بأسوار حفظِه ورعايته وحراسته، وجعلَ لها حِمًى مقدَّسًا، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء:10)، ويا لَه من إنذار شديد تنخَلعُ له القلوبُ الحيَّة! كما جعل النبيُّ– أيضًا– رعايةَ اليتيم من موجِبات الجنة .فعنْ سَهل بن سعدٍ الساعدي (رضيَ اللهُ عَنْه) قال (ﷺ): (أنا وكافِلُ اليَتيم في الجَنَّةِ هَكَذا وأشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بيْنَهُما شيئًا)[38] في إشارةٍ وبِشارة منه أنَّ كافلَ اليتيم سيكون مُلاصقًا له في الجنَّة وكفالةُ

(35) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(36) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(37) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(38) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

اليتيم تعني القيامَ بشؤونه من التربية، والتعليم، والتوجيه، والنُّصح، والإرشاد، والتَّهذيب، والقيام بما يحتاجُه من حاجات تتعلق بحياته الشَّخصية من المأكل والمشربِ والملبس والعلاج، وتأمينه على جسده، وعقله، ونفسه، وعرْضه، وماله، وعقيدته، ودينه، وأخلاقه والمسلمُ مأمورٌ أن يُعطى اليتيمَ مما أعطاه اللهُ ويُعَلّمه مما علَّمَه الله، ويجود عليه بخبراتِه الحياتية الأمينة؛ لأنه ضعيفٌ وعديمُ الخبرة والدِّراية، ومن ثمَّ في حاجةٍ إلى دَيْمومة التوجيه

لا تستصغروا صنائع العروف .قصص وشواهد:

ومن ذلك قصصُ أقوامٍ صَنَعوا المعروفَ –الذي يبدو في نَظرِنا صغيرًا– بينما هو عند الله كبيرًا؛ فكان جزاؤهم عند الله كبيرًا:

- ومِن هؤلاء رجلٌ أزال الأذَى عن الطريق، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ
- ومِن هؤلاء رجلٌ رأى كلبًا يلهثُ– أي: يأكل الثَّرى من العطش– فنزلَ البئرَ وحملَ الماءَ في خفِّه، وسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ
- ومِن هؤلاء رجلٌ سَمحٌ كان يُداين الناسَ، ويَصبرُ عليهم في سدادِ الديون، ويَتَسامح معهم، فتجاوزَ اللهُ عنه

من ثمرات حسن الخلق:

أَوَّلًا: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَبْلُغُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ: قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) ([39])، فَهَنِيئًا، ثُمَّ هَنِيئًا، لَكَ يَا صَاحِبَ الْخُلُقِ الرَّفِيعِ هَذَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ.

ثَانِيًا: مِنْ ثَمَرَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ: أَنَّهُ يُثَقِّلُ مِيزَانَ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (ما مِن شَيءٍ أثقلُ في ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من حُسن الخُلُق، وإنَّ اللهَ يُبغِضُ الفاحِشَ البَذيءَ) ([40])، وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: (ألا أدلُّكَ على خَصلتينِ هما خفيفتانِ على الظَّهرِ، وأثقلُ في الميزانِ من غيرِهما؟) قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (لِيْكَ بِحُسنِ الخلُقِ، وطولِ الصمتِ فو الذي نَفسي بيدِهِ ما عملَ الخلائقُ بمثلِهما) ([41]) .

ثَالِثًا: مِنْ ثَمَرَاتِ حُسْنِ الْخُلُقِ حُصُولُ الْبَرَكَةِ فِي الدِّيَارِ وَالْأَعْمَارِ، فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لَهَا: (إِنَّه مَن أُعطِيَ حظَّه مِن الرِّفْقِ، فقد أُعْطِيَ حظَّه مِن خيرِ الدُّنيا والآخِرةِ، وصِلةُ الرَّحِمِ وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجِوارِ يُعمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزِيدانِ في الأعمارِ) ([42]).

رَابِعًا: أَنَّ صَاحِبَ الْخُلُقِ يَحْصُلُ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – (ﷺ) –: (أَكْمَلُ المؤمنينَ إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا) ([43]) وَفِي الْحَدِيثِ: (أحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ أحسَنُهُمْ خُلُقًا) ([44]).

خَامِسًا: أَنَّ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ يَسْتَحِقُّ بِهَذَا الْعَمَلِ الْجَنَّةَ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الرَّسُولُ (ﷺ) فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَنَا زَعِيمُ بَيتٍ في رَبَضِ الجنةِ، لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ وإنْ كان مُحِقًا، وبَيتٍ في وسَطِ الجنةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإنْ

(39) أخرجه الإمام أبو داود في سننه.
(40) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.
(41) أخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور– إسناده جيد.
(42) أخرجه الإمام أحمد في مسنده .
(43) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين – صحيح على شرط الإمام مسلم.
(44) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير – حسن.

كان مازِحًا، وبَيتٌ في أعلى الجنةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)[45]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) سُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: (تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ) (46).

سَادِسًا: مِنْ فَضَائِلِ حُسْنِ الْخُلُقِ: أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْقُرْبِ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قَالَ (ﷺ) : (ألا أُخبِرُكم بأحبِّكم إليَّ وأقربِكم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ فأعادها ثلاثًا أو مرَّتينِ قالوا نَعَمْ يا رسولَ اللهِ قال أحسنُكم خُلُقًا) (47)

إنَّها أخلاقُ الإسلام التي تمثلُ نهرًا مُتدفقًا في شَرايين الأمة، ومن مائه العذبِ نَغتسل، وننقّي نفوسَنا، ونُطهر مشاعرَنا؛ فنُصبح أكثرَ وَضاءةً، وإشراقًا، وحُسنًا، ومحبَّةً لله (تعالى) ولرسوله الحبيبِ المصطفى (ﷺ)، الذي تَوَّجه ربُّه بتاج السُّمو، والرُّقي، والعَظمة، فقال سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4).

أيها الأخوة المؤمنون، إذا أردت أن يهتدي الناسُ على يديك فكن خلوقًا، إذا أردت أن ينفر الناسُ من الدين وأنت تدعوهم إلى الله فليخالِف عملُك قولَك.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا، فلنتَّخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأماني أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسولُ الله عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله..يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: 102) **أما بعد،**

قضية التعايش السلمي (المواطنة):

لقد وصف رب العالمين مقام النبي الأمين صلوات ربي وسلامه عليه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107)، ولقول الجناب المعظم (ﷺ): (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُل مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ) (48)، فالآية الكريمة والحديث الشريف يرسخان لمواطنة حقيقية قوامها التواصل بالخير والتعاون والتكافل بين أبناء الوطن جميعا، على ميثاق الحقوق والواجبات الذي لا يفرق بين مواطن وآخر، في ظل وطن واحد لا تعكر صفوه شبهة، ولا تؤرقه فتنة ألا تعلم أيها النبيل أن المواطنة أساس البنية الاجتماعية المتماسكة والترابط المجتمعي في ظل وطن واحد تجمعنا شوارعه وحاراته، وتحوطنا أحلامه وطموحاته؟! إنها إيمان حقيقي بالتعددية والتنوع الإنساني الذي أراده الله رب العالمين في الكون، (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) (الروم: 22)، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (هود: 118) ([49]).

---

(45) أخرجه الإمام أبو داود في سننه.

(46) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(47) الشيخ/ خالد سعد الشهري: حسن الخلق، الألوكة تاريخ الإضافة: 2019/7/20م، والحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، إسناده جيد

(48) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(49) راجع: خطبة وزارة الأوقاف المصرية 10 يناير 2025م.

فلننشر ثقافة المواطنة والتعايش بين أبناء الوطن جميعا؛ حتى ننعم بالسلام والأمان، ويفيض الخير على وطننا المبارك وقد أبرم النبي صلوات ربي وسلامه عليه معاهدة (وثيقة المدينة) لدعم المواطنة، وترسيخ الحقوق والواجبات وتحقيق السلام الاجتماعي بين شتى مكونات المجتمع.

وفي النهاية، أؤكِّدُ على ثلاثِ نقاط مهمَّة جدًّا:

الأولى: أنَّ العلاقاتِ بين الناس تحتاجُ إلى مزيدٍ من الصَّبر والمجاهدة، إذ لا تَستقيمُ إلا بالتغافل، والتَّغاضي عن هَفواتِهم، ومُقابلة الإساءةِ بالإحسان، فكنْ دائمًا مُحسنًا وإن لم تلقَ إحْسانًا من الناس .كنْ مُحسنًا ليس لأجلِهم، ولكن لأنَّ الله يحبُّ المُحسنين.

الثّانية: ضرورةُ إصلاح ذاتِ البَين، بشكلٍ مُستَدام، وتحمُّلِ الصعاب في سبيلِ ذلك، قال تعالى: (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) (الأنفال:1)، قال (ﷺ): (أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ؟) قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ قال: (إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ)[50].

الثّالثة: كنْ دائمًا هيّنًا ليّنًا؛ تأسّيًا بما وصفَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) به نبيَّه الكريم (ﷺ) في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: 159).

نسأل الله السلامة لنا ولأولادنا، ولمجتمعنا ولشعبنا..اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري 2022م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: 01122225115 بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(**الدكتور أحمد علي سليمان**)؛ **لمتابعة كل جديد**

https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/

(50) غاية المرام– صحيح.